بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

رياح الديمقراطية تهب على مصر من كل اتجاه بعد طول غياب . الشعب كله يراقب التجربة .. جانب كبير منه كله أمل فى نجاحها .. وينظر إليها نظرة المحب لنبت صغير يريد له النماء والاخضرار حتى يقطف فى النهاية ثماره .. ويخاف هذا الجانب على هذه التجربة من اشتداد الرياح فتصبح عاصفة تأكل الأخضر واليابس .. يخاف عليها من ذلك الذى أسميناه « بالغباء السياسى » .. غباء الذين يريدون تحطيم المعبد على من فيه . .. أو الذين لا يؤمنون بتشييد البناء لبنة بعد اخرى .. أو الذين لايعلمون بقصد أو بجهل أن الديمقراطية فى النهاية هى مجموعة من التقاليد والأعراف تحميها وتقف أمام أى أعاصير تحاول خلعها من جذورها ..

ويشتد قلق الجانب الكبير من الشعب على تجربة الديمقراطية كلما خرجت ممارسات بعض الأحزاب عن الحد المألوف والطبيعى من أية معركة انتخابية نظيفة .. فالأحزاب عن وعى أو عن غير وعى نسيت مصر أولا وأخيرا فى بعض أيام المعركة .. فليس فى مصر على حد قولها بناء أو تنمية .. ولا فى خطتها على حد زعمها أمل لأحد .. والضباب يخيم على النفوس .. والإحباط يلف شعبها .. والذمم كماتنشر فى صحفها

ضاعت على شماعة الانفتاح ومصر أصبحت تابعة للولايات المتحدة .. وأرضها الغالية تحولت إلى قواعد تحتلها القوات الأمريكية ..

ويشتد القلق أكثر وأكثر .. فغالبية الشعب على يقين من أن غياب الديمقراطية مرة أخرى أمر لا يمكن أن نطيقه أو نتحمل مرارة جرعاته مهما كان صغرها .. وعلى يقين أيضا من أن البديل للديمقراطية هو بديل أسود .. فالشعب بما فيه شبابه قد خاض تجربة الديكتاتورية وحكم الفرد .. وخاض من خلالها تجربة مراكز القوى وتحكمها فى قضايا شخصية صغيرة فتاه منها قضايا الشعب الأساسية .. وخاض تجربة غياب الهوية لديمقراطية يضع أصولها فرد واحد .. وهو الذى ينهى المباراة ناسيا أنه من جانبه إذا خرج لاعب عن أصول اللعبة وضع بنفسه ولوحده معاييرها .

وليس هنا بطبيعة الحال مجال الحديث عن مراحل تطور الديمقراطية التى نعيشها فى الوقت الحاضر أو عن الإجابة عن كيف تمت ؟ أو كيف أثرت فى الأوضاع الداخلية فى مصر سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا .. وليس أيضا مجال تحليل مستقبلى للتجربة ! .

فقد عشنا تجربة الحزب الواحد متمثلا فى الاتحاد الاشتراكى .. ثم انتقلنا إلى المنابر فى إطار الاتحاد الاشتراكى العربى تجسيدا للقوى الاجتماعية من الناحية النظرية لا الفعلية لتشمل منابر يسار ويمين ووسط .. وانتقلنا بعد ذلك إلى نظام الأحزاب ، وربما فى اطار نفس التصور النظرى ، ويصبح الحزب الوطنى الديمقراطى ممثلا للوسط ويتبلور حزب التجمع كحزب فى أقصى اليسار ويتطور حزب العمل لتحديد طبيعته أكثر باعتباره يسار الوسط ويصبح حزب الأحرار يمين الوسط بسبب ظهور حزبى الوفد والأمة اللذين يمثلان اليمين الفعلى . فاليمين الآن فى مصر وأقولها بكل صراحة أصبح معناه ببساطة الدعوة إلى

ما قبل ثورة يوليو أو إلى ما قبل انتهاء الدولة الأموية بالنسبة لحزب الأمة .

قد تفرز نتائج الانتخابات حقائقَ جديدة تستوجب اعادة التقييم وهذا أيضا ليس مجاله الآن .

المهم فى ذلك كله أن تحول دولة يوليو إلى الديمقراطية الحزبية كان تحولا ضروريا إن لم يكن حتميا .. حتى يمكن لكل القوى الاجتماعية الوطنية .. المؤمنة بالسلام الاجتماعى وبالشرعية الدستورية لدولة يوليو وبالتنظيمات السياسية وصحفها وحتى يتحقق الدور الايجابى للمواطن المصرى من خلال اختياراته الحرة وعلى أساس معرفة موضوعية بالتيارات الممثلة للقوى الاجتماعية .. أو لتلك التى تدعى أنها تمثل قوى اجتماعية .

وفى النهاية انحزت إلى ذلك الجانب الكبير من الشعب أشاركه خوفه على مستقبل الديمقراطية فى بلدنا .. بل أشاركه القلق الكبير من البديل الأسود لغياب الديمقراطية أو لغياب الحرية .. ونحن أول من يعانى من فقدها .. فذلك معناه عودة الرعشة إلى الاقلام ومعناه كتمان الحقائق من الصدور .. ومعناه إعادة فتح أبواب السجون .. وقطع الأرزاق .. وعودة خوف افراد الأسرة من بعضهم البعض .

لذلك كله كانت هذه المجموعة من المقالات عن الانتخابات الجديدة فى مصر .. وفيها حاولت منذ البداية وبكل حيدة أقدر عليها .. أن أحدد أصول اللعبة من خلال محاولة للحفاظ على دفعة الديمقراطية والحرية التى نعيشها الآن .. ومن خلال قلقى المتزايد عليها .. وقد أكون أخطأت فى بعض أحكامى فأكون أنا وحدى مسئولا عنها .. لأننى وحدى انتهيت إلى صياغتها وكتابة حيثياتها ..

ولم يكن يدور فى خلدى أن تصبح هذه المقالات كتابا من كتب

مكتبتك .. لكن يشرفنى ذلك .. ليكون بين مجموعة الكتب التى تتحدث عن الديمقراطية والحرية .. خاصة إذا كانت تتعلق بالتجربة المصرية الجديدة .. تلك التجربة التى سوف تؤثر بعد نجاحها تأثيرا عظيما على جميع الدول التى تحيط بنا .

فرياح الديمقراطية ليست لها حدود ، ومهما يكن من بطش الحكام فلن يستطيعوا منع شعوبهم تنفس عبيرها .

وســـوف نرى

وإلى لقاء قريب

ابراهيم نافع